



في حديث نشرته مجلة "فورين أفيرز" الأمريكية، الإثنين المنصرم؛ قال رئيس النظام السوري، إن ضربات الطيران الإسرائيلي أهداف منتقاة في بلاده هي بمثابة تغطية جوية لقوات المعارضة المسلحة، وتساءل بتذاكٍ: من الذي يزعم أن "القاعدة" لا تملك سلاحاً جوياً؟!

ثمة سؤال تالٍ في الأهمية، على الأول: لماذا، والحال هذه، لا يقارع سلاح الجو السوري ذلك السلاح الذي يغطي، حسب زعمه، عمليات المعارضة؟ أما الأول: من هو الطرف الذي أتاح لمقاتلي السلفية الجهادية انفلاتاً ساحراً، قبل أن ينقلب السحر على الساحر؟!

معلوم أن السلاح الجوي السوري، الذي يفترض أنه يحمي أجواء البلاد من تهديدات الطيران الإسرائيلي؛ شهد في العامين الأخيرين، تغييراً بنرياً، فبدل أن يستمر في محاولات اللحاق بسلاح جو العدو، على المستويين، القتالي والتكتيكي، أصبح يركز على محمولاته من القنابل التي يسقطها على الناس، من سماء تخلو له. ولو كان صحيحاً ما يزعمه الأسد عن تغطية إسرائيلية لعمليات المعارضة المسلحة، لكن الأهم والأول، الذي سيفعله الطيران الإسرائيلي، منع الطيران السوري من التحلق، بقابله وبراميله، لكي يُسقطها على السوريين. وستكون للطرف الإسرائيلي من عمل كهذا سبع فوائد، أعظمها الإجهاز على سلاح استراتيجي، تمتلكه دولة يفترض أنها تقاوم وتمانع، وأنداناها أن يظهر العدو صديقاً حانياً على الشعب السوري، على نحو يمكن أن يغسل قلوب السوريين من آفة الغل على إسرائيل أم المصالب. لكن اطمئنان الإسرائيليين إلى المقاصد الحقيقة للنظام، وقد اختبروا صدقيتها في 41 عاماً من صمت الجبهة؛ هو الذي يجعل إسرائيل تضحي بالفوائد السبع، وأن تلتزم الحياد الظاهر، وإخلاء الأجواء لحاملات البراميل المتفجرة. أما موسكو التي استنكتفت، طويلاً، عن تأهيل سلاح الجو السوري لمواجهة نظيره الإسرائيلي؛ فقد أظهرت سخاءً في تأهيل السلاح الأول للقصف المدمر للمراكز الحضرية، ولنسف

البيوت على رؤوس الناس وقتلها. هنا، يُحال الاستنكاف الأول إلى واقع العلاقات الروسية الإسرائيلية المتطرفة على كل صعيد، أما السخاء فإنه يُعلل بالمنافع التي تتوخاها موسكو من بناء نظام الأسد، على الصعيد الاستراتيجي.

كان نظاماً سورياً والعراق قد أفلتا عناصر السلفية الجهادية من السجون، ورفدتها بعناصر أخرى، لخلط الأوراق في معسكر المعارضة، لوصول مكونات هذا المعسكر إلى وضعية الاحتراز المحتمرة، بين أطراف في داخله، ذات مشروعات متنافضة. كان مطلوباً الإجهاز على مشروع الثورة، أو انتفاضة الشعب السوري، ذات المضامين الاجتماعية والديمقراطية. ولن يؤدي هذه المهمة سوى الوحش الظلامي الذي لا يقبل صوتاً يخالفه في حرف واحد، ناهيك عن مخالفته منطق السلفية الجهادية، جملة وتفصيلاً. وما لم يتحسب له الطرفان، نوري المالكي آنذاك، وبشار الأسد، لانقلاب المتطرفين عليهم، ربما كانت مقامرةً اضطرارية في لحظاتٍ صعبة، إما تنجح تماماً أو جزئياً. فعندما تم إطلاق سراح عناصر عسكرية خطيرة، من سجن أبو غريب، والزعم بأنها هربت منه، وهو السجن الأشهر والأشد تأميناً وحراسة؛ أدرك الجميع أنها عملية إطلاق لوصم الحراك السنّي المطالب بالعدالة وبالدولة التزيّنة، اللاطائفية التي تكون حكماً بين الناس، بالإرهاب. وظن المالكي أنه، بهذا الفعل الشائن، سيربح تأييد الولايات المتحدة في عملية إجهاض محاولة المحافظات السنّية الحصول على حقها في الشراكة والحكم. في الوقت نفسه، أتاح نظام الأسد لفصائل من المتطرفين هاماً من العمل الميداني، لتمكن من التحشيد الشعبي، ومن دحر قوات المعارضة الوطنية المتماهية مع ثورة الشعب السوري!

يقول الأسد للمجلة الأميركيّة متوجعاً: كل الحروب سيئة، لأنها تنطوي على خسائر ودمار. وكأنه ليس هو الذي جعل النيران، ثم النيران ثم النيران، وسيلة لمواجهة الناس في تظاهراتها وجنازتها ومخايبها ومهاجم نومها. هو لم يكذب في ذمّ الحرب، إنْ كان ما يعنيه بالحرب أن تكون ضد إسرائيل!

العربي الجديد

المصادر: